من جهته، كان الجانب الفلسطيني، وبحق، ينظر الى الدعم السوفياتي لحركة المقاومة على انه جزء من المصالح الاستراتيجية الكونية للاتحاد السوفياتي؛ وقليل من الفلسطينيين، أيضاً، سواء داخل أو خارج حركة المقاومة، تناسى ان الاتحاد السوفياتي كان في طليعة البلدان التي اعترفت، رسمياً، بدولة اسرائيل، او ان الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي شكّلت مصدراً لا غنى عنه من مصادر التزايد الديمغرافي اليهودي في فلسطين. ونستطيع ان نتبيّن هذه الدرجة من الشكوك، في العام ١٩٦٩، في بيان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، الذي أكد عدم استغرابه من «مواقف الدول الاستعمارية، وبخاصة الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا، فهي ضالعة مع الصهيونية العالمية، بحكم الروابط العضوية، ووحدة المصالح الاستغلالية التوسّعية، والعداء المشترك للامة العربية. ولكننا نستغرب من موقف الاتحاد السوفياتي. ومع تقديرنا التامّ للمساعدات السوفياتية المتنوّعة لكثير من الدول العربية، الاّ ان الواجب الوطني أصبح يتطلب ان نسجّل ان الاتحاد السوفياتي ثابر على الخطأ في موقفه من القضية الفلسطينية، وفي تجاهله لحق الشعب الفلسطيني في كامل وطنه (فلسطين)، وفي حقه المقدّس في تحريره، والعودة اليه، وفي تقرير مصيره عليه»[١٣٥]. كما يمكننا ان نتبيّن هذه الدرجة من الشكوك، في تساؤل صلاح خلف (ابو اياد): «أليس من المستغرب ان الاعلام الغربي كان يحرص على تغطية أعمال المقاومة الفلسطينية أفضل من الاعلام الاشتراكي؟». وفي الوقت عينه، سجّل فاروق القدومي (أبو اللطف) اعتراضاً على حل رأسمالية الدولة «في النظام الحاكم في الاتحاد السوفياتي»[١٣٦].

عناصر مساعدة

في الواقع، لم يستقم هذا الوضع، الاّ لفترة وجيزة. فقد أوحى التحرّك الدبلوماسي السوفياتي تجاه واشنطن بأنه يضع شروطه على صفقة الرئيس الاميركي، ريتشارد نيكسون، الشاملة، الهادفة الى نقل العلاقة بين الطرفين «من عصر الصدامات الى عصر المباحثات». وفي مقدّم هذه الشروط كان تجريد منطقة حوض البحر الابيض المتوسط من الاسلحة النووية، كخطوة أولى الى ضمان أمر الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي[١٣٧].

ومنذ النصف الثاني من العام ١٩٦٩، برز التشدّد السوفياتي، مجدداً، في سياسته الاقليمية الشرق اوسطية. هكذا اغتنم غروميكو فرصة زيارة الرئيس السوري، نورالدين الاتاسي، موسكو، في الرابع من تموز (يوليو)، ليعلن، في خطاب القاه بهذه المناسبة، ان الاتحاد السوفياتي يقف «في صفوف المناضلين ضد سياسة الاستعمار، وضد المطامع في أراضي الغير، وضد محاولات استخدام القوة لتغيير الحدود القائمة بين الدول»؛ وليؤكد ان الاتحاد السوفياتي سيستمر في مساعدة العرب في نضالهم من اجل «اقرار سلام وطيد وعادل في الشرق الاوسط، مع الأخذ بالحسبان مصالح شعوب هذه المنطقة كافة، بما فيها الشعب العربي في فلسطين»[١٣٨]. وقد ازداد الطابع الدولي وضوحاً في التصريحات السوفياتية، بعد حادث حريق المسجد الاقصى، في ٢٠ آب (اغسطس) ١٩٦٩، حيث هاجمت صحيفة «النجم الاحمر» حكام اسرائيل، الذين «يعارضون مباحثات الدول الاربع، والمباحثات السوفياتية ـ الاميركية بشأن الشرق الاوسط». وكتبت الصحيفة «ان زيادة القوة الدفاعية للبلدان العربية تهيىء لها امكان النجاح في متابعة النضال، دفاعاً عن الحرية والاستقلال والتقدّم الوطني، ومن اجل استعادة الاراضي العربية المحتلة كافة، والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني»[١٣٩].